

## آراء عبدالقدوس الأنصاري في قضايا الأدب وسمات منهجه النقديّ

عبدالله بن عبد الرحمن الحيدري

أستاذ مساعد قسم الأدب، كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض

**ملخص البحث.** يرصد هذا البحث آراء عبد القدوس الأنصاري (١٣٢٤-١٤٠٣هـ) - رحمه الله - في بعض قضايا الأدب، كوظيفته، ومفهومه، والالتزام، والمفاضلة بينه وبين العلم، ويحدّد مدرسته النقدية وجهوده في هذا السياق من خلال مجلته " المنهل "، ومن خلال مقالاته التي عرض فيها لبعض الكتب أو الدواوين أو المجموعات القصصية، أو من خلال آرائه المبثوثة في مقابلاته الصحفية. ويتعرض البحث إلى مرجعية عبدالقدوس الأنصاري النقدية والمؤثرات التي شكلت خطابه النقدي، ويكشف موقفه من التيارات الأدبية الجديدة، كظاهرة الشعر الحر وسواها. ويسعى البحث إلى بيان منهج الأنصاري في النقد، ممثلاً لذلك بنقده التطبيقي للقصة وللشعر، ويخلص إلى أنه يستند في آلياته النقدية إلى التراث في المقام الأول، مع تأثر يسير ببعض الاتجاهات النقدية الحديثة السائدة في عصره.

### مدخل

عاش عبد القدوس الأنصاري (١٣٢٤-١٤٠٣هـ) - رحمه الله - في مرحلة كان فيها الأدب في المملكة يتشكل ويتطور بسرعة نتيجة متغيرات سياسية واجتماعية وثقافية متلاحقة، وبحكم انتمائه لجيل الرواد المتقدمين، اتسم اهتمامه بما اتسم به اهتمامهم من شمولية وبعد عن التخصص ورغبة صادقة في الإصلاح والتنوير من خلال الكتابة في كل الألوان الأدبية وكل الأشكال الكتابية، فرأينا الأنصاري يقرض الشعر، ويكتب القصة والرواية، ويمارس النقد، ويعالج المقالة والبحث، مع اهتمام خاص باللغة والآثار والصحافة الأدبية بمجلته الشهيرة " المنهل ".

وهذا البحث يُعنى برصد آراء الأنصاري الأدبية والنقدية، وهما محوران مزاحمان بكل تلك الاهتمامات المتعددة للأنصاري؛ ولذلك لم يستطع الباحثون الذين تصدوا لدراسة الأنصاري في بحوث أو رسائل جامعية أن يعطوا هذين الجانبين في حياته ما يستحقانه من اهتمام، وظهر في عديد من الدراسات والبحوث مبتورين لم تكتمل زواياهما مع الإلحاح على " معركة مرهم التناسي " تقريباً دون سواها من ملامح وأطر تشكل آراءه الأدبية وخطابه النقدي.

ويتناول البحث آراءه الأدبية والنقدية من خلال مجموعة من المحاور، منها: الأنصاري والنقد، ومدرسته النقدية، وآراؤه الأدبية والنقدية، والمعارك الأدبية والنقدية، مع الاهتمام بالمعركة الشهيرة " مرهم التناسي "، وهذه المحاور تلح في المقام الأول على الإطار النظري في نقده.

واستكمالاً للدائرة يُعنى البحث بالجانب النقدي التطبيقي للأنصاري مع ضرب الأمثلة من خلال نقده للقصة وللشعر.

### الأنصاري والنقد

أدرك الأنصاري كل المعارك الأدبية والمناوشات التي كانت تُذكيها الصحافة المصرية وغيرها بين أعلام الأدب في ذلك العصر، وانتقلت تلقائياً إلى الصحافة العربية، ومنها السعودية؛ ولذلك ليس من الغريب أن تكون كتاباته المبكرة تهتم بالنقد، وبخاصة أنه تلقى فور صدور روايته " التوأمان " وقصته " مرهم التناسي " سهماً نقدياً حادة من بعض معاصريه، وكأنما أرادوا أن يخوض معهم - رغماً عنه - لجج النقد والمهاترات التي تنتهي بها تلك الكتابات النقدية في غالب الأحيان.

وربما تعود أولى كتاباته في مجال النقد إلى عام ١٣٥٢هـ بمقالته " تأملة جوفاء ونقد متهافت " التي نشرها في جريدة " صوت الحجاز " رداً على زميله محمد حسن عواد (ت ١٤٠٠هـ) <sup>(١)</sup>.

(١) انظر تفاصيل هذه المعركة لدى: [١]، ص ٤٩٠.

وعندما صدرت مجلته "المنهل" عام ١٣٥٥هـ ظهرت له مجموعة من الأعمال النقدية، سواء منها ما عُني بالجانب النظري أم التطبيقي، ففي الجانب الأول نجد له المقالات التالية: "أدب النفس والحس"، و"بين النقد الصحيح والتشجيع الزائف"، و"النقد جرس"، وكلها نشرت في "المنهل" في المدة من ١٣٥٦-١٣٧١هـ. وفي الجانب التطبيقي ظهر له أكثر من خمسة عشر عملاً تتراوح بين مقالة قصيرة ومطولة وكتاب، ومنها: استعراض الدواوين التالية: "صواريخ ضد الظلم والاستعمار" لعبد السلام هاشم حافظ (ت ١٤١٥هـ)، و"الأمس الضائع"، و"ألحان منتحرة" لحسن عبد الله القرشي (ت ١٤٢٥هـ)، و"القلائد"، و"الأزاهير" لمحمد بن علي السنوسي (ت ١٤٠٧هـ)، و"حنانيك" لعبد العزيز خوجه، و"إشراق الغروب" لعلي دمر (ت ١٤٠٥هـ)، و"فيض الأحاسيس" لمفرج السيد، و"ديوان القاسم بن هتميل" (ت نحو ٦٩٦هـ)، إضافة إلى نقد عملين قصصيين، وهما: "فكرة" لأحمد السباعي (ت ١٤٠٤هـ)، و"البعث" لمحمد علي مغربي (ت ١٤١٧هـ).

وأما الكتب التي نجد فيها تطبيقاً نقدياً فيمكن تحديدها في ثلاثة كتب، وهي: "أربعة أيام مع شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي" (ت ١٣٥٤هـ). وقد صدر الكتاب في عام (١٣٨٨هـ)، و"الملك عبد العزيز في مرآة الشعر" (١٣٩٤هـ)، و"رحلة في كتاب من التراث" (١٣٩٨هـ).

كما تناثرت آراؤه النقدية في مقالات متفرقة وفي بعض المقابلات الصحفية التي نشرت في الصحف والمجلات المحلية والعربية على مدى نصف قرن تقريباً.

ومما تحسن الإشارة إليه أن مقالاته النقدية في "المنهل" نشرت باسمه الصريح في غالب الأحيان، وفي أحيان أخرى باسم "باحث"، أو دون توقيع مع إشارة في المقالة إلى اسمه كأن يقول: "رئيس تحرير هذه المجلة"، أو كلمة المحرر [٢، ص ٢١، ٣، ص ٥٨، ٦٣] (٢).

#### مدرسته النقدية

لعبد القدوس الأنصاري دور مؤثر في الخطاب النقدي السعودي بشكل عام في مراحل المبكرة، ويتمثل ذلك في أمرين:

**الأول:** جهوده الشخصية وإسهاماته في تأسيس خطاب نقدي مبني على أسس سليمة يتعد عن المهاترة وينزع إلى الموضوعية والنقد البناء.

(٢) وقد كشف عن اسمه المستعار أكثر من باحث. انظر [٦، ص ١٢٤].

**الثاني** : إصداره لمجلة المنهل وأخذها زمام المبادرة في بث الوعي النقدي الصحيح ، والكتابة فيها نظرياً وعملياً بما يخدم العملية النقدية ، وتشجيع الكتاب على ممارسة هذا الدور وفق أسس حاول أن تتبناها مجلته ما وسعها ذلك.

ولقد كان لمجلة "المنهل" قصب السبق في ميدان الدراسات الأدبية ونقدها ، إذ فتح صاحبها ورئيس تحريرها عبد القدوس الأنصاري " الباب لكل من يحمل فكراً يستفاد منه حتى وإن كان ممن هم ضد توجهاته " ، ومن ثمارها وغيرها من المطبوعات الصحفية " خروج بعض الكتب التي كانت في الأساس مقالات جمعت في كتب نقدية " [٤١ ، ص ١٨٤].

ويمكن حصر نشاط الأنصاري النقدي بين سنتي ١٣٥٢-١٤٠٣هـ ، وفي هذه المدة شاعت تسمية النقد بالنقد الانطباعي ، " غير أن هذا الشيع لم يكرس مفهوماً علمياً واضحاً لهذا المصطلح ؛ لذلك ظل هذا المصطلح عائماً رغم الدراسات المتعددة للمنجز النقدي في تلك الفترة " [٥ ، ص ٣ ]

وأما مرجعيته النقدية فهي تراثية في المقام الأول متأثرة بالنقد العربي القديم وآلياته ومصطلحاته ، مع تأثر يسير ببعض الاتجاهات النقدية السائدة في عصره من نحو مدرسة الديوان ، والنقد النفسي وغيرهما من الاتجاهات. ولقد حاول الناقد سلطان القحطاني أن يضع يده على المدارس النقدية في المملكة ، فذهب إلى تصنيف التيارات النقدية في المراحل المبكرة إلى مدارس ، أبرزها : مدرستا مكة والمدينة ، ويصف الأخيرة بأنها مدرسة تجديدية محافظة رائدها عبد القدوس الأنصاري ، وهدفها " إحياء التراث العربي القديم - وخاصة عصر الازدهار الأدبي في العصر العباسي الثاني - " [٤ ، ص ١٠٨].

ويصف دور عبد القدوس الأنصاري قائلاً : " اجتهد الأنصاري وأنصار هذه المدرسة في نقد الفكر الجامد واستبداله بفكر جديد قائم على التراث الأدبي في الشعر والنثر وإصلاح طرق الكتابة " [٤ ، ص ١٠٨].

ومن خصائص هذه المدرسة الميل إلى العلم بدليل قول الأنصاري : " أدب المدينة أدب علمي ، وأدب مكة تصويري " [٧ ، ص ٥] ، ومعنى هذا أن المدينة " يسود فيها الأدب العلمي ، وأدباؤها ينزعون إلى اللون العلمي في الأدب وفي مقالاتهم... ، فالأدب في المدينة مادته وموضوعه العلوم ، والأدب في مكة مادته وموضوعه الحياة " [٨ ، ص ١٤٦]

ويرى الأنصاري " أنه من أجل هذه النزعة التصويرية في الموضوعات ، فإن أكثر أدباء مكة يعجبون بأدب الدكتور طه حسين والعقاد والمازني ويتذوقون أدبهم تذوقاً خاصاً ، ومن أجل النزعة العلمية في الموضوعات الأدبية رأينا جمهرة أدباء المدينة يتنافسون في اقتناء كتب الدكتور فريد الرفاعي وأحمد أمين ومحمد عبد الله عنان ويحفلون بدراساتها " [٧ ، ص ٥].

ويرجع سبب الاختلاف بين الفريقين " إلى اختلاف الذوق بينهما، فكل فريق يُصدر أحكامه بمقتضى ميوله الأدبية " [٨، ص ١٤٧].

ويشير سلطان القحطاني إلى أن مدرسة المدينة النقدية انضم إليها كل أدباء المدينة وبعض أدباء مكة ونقادها والأحساء والقطيف وجازان وكل محافظ يميل إلى التجديد وينبذ التقليد المتهاك وينهل من الثقافة العربية الأصيلة مع التطوير في الشكل والمضمون بما يتفق وظروف العصر " [٤، ص ١٠٨].

ويميل القحطاني إلى أن هذه المدرسة انبثق عنها " عدد من التيارات النقدية، كالتيار المحافظ الذي يرى أن الأدب ونقده يمكن أن يتقدم ويساير الأدب العربي بتطوير لغته وأسلوبه من خلال القديم المجيد وليس القديم القريب " [٤، ص ١٠٨].

ومن صفات هذه المدرسة وأصول منهجها المبالغة في إظهار الإعجاب والتشجيع حتى يتحول النقد أحياناً إلى التقريظ [٤، ص ١١٠]

### آراؤه الأدبية والنقدية

حاول الأنصاري في مقالاته أن يحدّد وظيفة الأدب وأن يوضح مفهومه له، وتحدث عن الالتزام في الأدب، وفاضل بين الأدب والعلم، وسعى إلى بيان رأيه وموقفه من النقد، وأبان موقفه من الأدب العامي، ومن أدب الشيوخ والشباب، وشعر المناسبات، ومن الشعر بشكل عام، وجوانب أخرى.

ففي تعريفه للأدب ارتاح لمن يرى بأنه " كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل "، ويقسم الأدب نوعين: أحدهما أدب النفس وهو الأصل، وثانيهما أدب الحس وهو الفرع، وفي رأيه أن أدب النفس " الرياضة الخلقية التي يتوصل بها الإنسان إلى امتلاك عواطفه ثم السير في مناهج الفضائل وصرف المواهب الفكرية إلى إنتاج كل ما يفيد الإنسان "، وأما أدب الحس فهو " الأدب البياني الذي يتولد على حافات الألسنة وأسنة الأقلام بالتمرين على الإجابة في التبيين عن الأغراض النفسية الكامنة والمعاني الأدبية والعلمية والفنية المضمرة " [٩، ص ١].

وتقوم وجهة نظره في هذه المقالة على أهمية امتزاج الأدبين حين يقول: " فمن جمع بين هذين اللونين من الأدب فذلك الأديب الأريب، ومن استغنى بالأول أغناه الله، ومن قصر همته على الثاني أصبح صدفاً بلا در، وزهراً بلا عطر! " [٩، ص ٢].

على أن هذا التعريف للأدب في نظر حسين سرحان (ت ١٤١٣هـ) لا يصح وهو والأدب على طرفي نقيض؛ لأن هناك من الأدباء والمفكرين من لا يعنون بالفضائل ولا يلقون لها بالأ [١٠، ١٦٤/١].

وعما إذا كان الأدب للفن أو الأدب للحياة، رأى الأنصاري " أن الأدب هو الحياة بمباهجها ومسراتها، وهو الحياة بالأمها ومتاعبها، وهو الحياة بمطالبها ورغباتها..هذا هو الأدب، وهذا هو موضوعه العام الشامل..فالفن جزء من الحياة وجزء صغير بالنسبة لهيكل الحياة، فالأدب الحق هو ما يشمل أدب الفن القيم وأدب الحياة الواقعية ترغماً وشدواً وتسجيلاً وإصلاحاً"، ويميل إلى أن المذهب الأدبي الذي يتلاءم مع الحياة الأدبية في المملكة " هو المذهب الذي يدعو إلى أن يكون الأدب للحياة ولا يهمل في الوقت نفسه الأدب للأدب" [١١]، ص ٢٣٨، ٢٤٦.

وللأنصاري رأي في الالتزام، فهو لا يقول بالالتزام الأدب وحده، بل بالالتزام العلم أيضاً، فكل من الأديب والعالم يلتزم في أدبه وعلمه بخدمة المجتمع الذي يعيش فيه ويعد فرداً من أفراد، وهو " يعارض الدراسة النظرية والاتجاه النظري الذي يجعل التزام العالم والأديب محصوراً في الجانب النظري وخدمة الأهداف الفنية والعلمية الخالصة دون النظر إلى النتائج الخارجية" [١١]، ص ٢٤٩.

وقد يُعلي الأنصاري من شأن العلم ويقلل من شأن الأدب، ويذهب إلى أن العالم الإسلامي والعربي اليوم ملزم باعتناق شيء غير الأدب؛ لأن الأدب صناعة الكلام، و"هذه الصناعة قد برع فيها العرب..وبقي لهم أن يتركوا تجربة هذه الوسيلة الكلامية في ابتناء مجدهم المنشود..بقي عليهم أن يدبروا بالعلم الصحيح المفيد في شقيه الديني والديني؛ ليجاروا الأمم الطامحة. وقد دعا الأدب إلى ذلك، وإلى الأخذ بأسباب العلم في مجالاته المتعددة، وله الفضل في ذلك، ولكن ليس معناه أن نقف مكتوفي الأيدي ندور في دوامة الأدب، ونكرر الدعوة باسمه بابتناء هذه الأبحاث، ونكتفي بذلك التغني، ونعتقد أن الأدب يقوم لنا بشيء ذي غناء!" [١١]، ص ٣٠٧.

وفي مقالته " بين النقد الصحيح والتشجيع الزائف " يضع رؤيته ومفهومه للنقد، ويصحح مقولة من يرى أن كل نقد أدبي هو هدام يوصل إلى الهوة السحيقة والإخفاق، ذلك أن النقد هو " ما يغري بسلوك الطريق القويم والسير في العمل المجدي، النقد هو النقد الصحيح الخالي من أدران التعرض للشخصيات وآفات القول الذرب والمنطق المشين" [٢]، ص ٢١.

ويرى أن دوره دور إصلاحية حين يقول: " وكم أصلح النقد الصحيح البريء من جرائم الحقد والحسد الذميمة نفوساً تائهة في بقاء طويلة عريضة"، والمعيار لديه في ذلك هو " أن النقد الأدبي الصحيح كالتشجيع الأدبي الصحيح يبين ولا يهدمان" [٢]، ص ٢١.

ومن هنا يتضح لنا موقف الأنصاري من مسألة النقد، " وهو موقف المؤيد له بشرط أن يكون النقد موضوعياً، فلا يمس الأشخاص أو يجرح الذوات، وإنما يسלט على الأعمال الأدبية؛ ولعل ما تعرض له الأنصاري في بداية حياته الأدبية من هجوم عنيف وتجريح وإساءة من بعض النقاد أثر في اتخاذ هذا الموقف، وهو

مصيب في موقفه هذا، إذ إن النقد حينما يتعدى الأعمال الأدبية إلى نقد الأشخاص وسيرهم ولمز أوضاعهم الاجتماعية يخرج عن نطاق النقد ويدخل مسمى القذف والسباب " [١٢] ، ص ١٠٣].

ويشبه الأنصاري النقد بشكل عام دون أن يقيدته بالأدب بأنه كالجرس " ينبه الأفكار ويوقظ النفوس، ويوجه إلى الإصلاح ويرشد إلى وجوه الخطأ..، وكما أن الجرس قد يُحدث بعض الأحيان بعض إزعاج للسامعين إلا أنه على كل حال ميمون النتائج..فكذلك حال النقد الصالح المصلح " [١٣] ، ص ٢١٨].

ويحاول أن يضع يده على تعريف أدق للنقد الذي ينادي به حين يقول : " ولكن أي نقد هذا ؟ إنه النقد البريء النزيه الصافي من شوائب الغرض والهوى، إنه النقد الواعي، وليس بالنقد المتهافت، ولا بالنقد المغرض الذي يفسد ولا يصلح، وليس بالنقد الذي من شأنه الهدم والتقويض، فإن هذا اللون من النقد كله ضرر وكله خطر " [١٣] ، ص ٢١٨].

وتأتي هذه الأقوال المتفرقة للأنصاري عن النقد مرتبطة بوضوح بالجانب الإصلاحي، وهذا أمر طبعي؛ لأن "الأثر الإصلاحي كان لحمّة الخطابات جميعها، ومنها الخطاب النقدي، ولما كان مزاج العصر ليس مزاجاً علمياً راقياً فقد أثر هذا في حركة النقد الذي أخذ يراعي مستويات عقلية، منها الخاصة وهي القليلة، والشعبية وهي الغالبية، ولم يكن للنقد التخصصي حضوره وفعالته" [١٤] ، ص ١٠٨].

وله مقالة حدّد فيها موقفه من الأدب العامي، وعنوانها " أدب الحاضرة وأدب البادية "، وملخص المقالة أن الأنصاري لا يرى بأساً من " نشر الأدب الشعبي لما فيه من حوادث تاريخية خاصة وعامة سجلها هذا الأدب في وقت ركود الأدب الفصيح، وأيضاً لما فيه من عناصر جمالية خفية، ولا يرى فيه خطراً على اللغة الفصحى، ويشترط ألا يؤدي نشره إلى طغيانه على الشعر العربي الفصيح أو التساوي معه في المكانة حتى ندرأ الخطر عن اللغة العربية الفصحى وآدابها.." [١٢] ، ص ١٠٧].

ومع أن بعض الباحثين رأى في وجهة نظره مرونةً وبعد نظر [١٢] ، ص ١٠٧]، فإنني أرى أن العامية تزاحم الفصحى وتمثل خطراً عليها، وبخاصة في زماننا هذا مع مساندة الإعلام للعامية على نطاق واسع بحيث أصبحنا نجد من طلابنا في الكليات المتخصصة من يستشهد بالشعر العامي !

وإذا كنا نلاحظ في رأي الأنصاري عن الأدب العامي ميلاً إلى التقريب بينه وبين الفصحى في رؤية توفيقية، فإننا نجد له رأياً آخر عن أدب الشيوخ والشباب يحاول فيه أن يقرب بين الجيلين، وكان رأيه واضحاً وثابتاً من هذه القضية عندما أثيرت، وهو " التوفيق بين الجيلين وإتاحة المجال أمام المبدعين منهما في إطار التمسك بالأخلاق الإسلامية الفاضلة والتزام خط السير العربي الإسلامي القويم، ويعيب على من يحاول افتعال المعارك بين أدب الشيوخ وأدب الشباب لتضطرم بينهما حرب ضرام تؤدي إلى مستقبل أدبي مظلم " [١٢] ، ص ١٠٧].

وأما أقواله حول الشعر فهي عديدة، منها أنه يرى أن الشعر موهبة قبل أن يكون مكسبة، وأنه إذا "اجتمعت الموهبة مع المكسبة بلغ الشعر من العلياء أقصى مكان" [١٥، ص ٥٢٧].  
ولا يميل عبد القدوس الأنصاري إلى شعر المناسبات، ويرى أن "وظيفة الشعر أرفع من ذلك؛ ولذا لم يسلك هذا السبيل إلا نادراً، ولم يثبت في ديوانه قصائد من هذا النوع" [١٢، ص ٢١٣].  
لكن أكثر قضية شعرية شغلت حيزاً من اهتمام الأنصاري هي موقفه من الشعر الحر والأشكال الشعرية الجديدة؛ ولذلك سنتوقف عندها بشكل مفصّل.

### موقفه من التجديد والشعر الحر

ظهر في المملكة وعلى أيدي رواد الأدب تياران مختلفان في الرؤية النقدية.  
**التيار الأول** : يدعو أنصاره إلى مساندة المجددين من أدباء العصر في البلاد العربية والمهجر وأدباء الغرب، والتقليل من قيمة الأدب القديم في العصر العباسي وغيره، وفي مقدمة هؤلاء محمد حسن عواد.  
**والتيار الثاني** : أنصاره يرون أن التجديد يأتي باتباع أساطين الأدب العربي في عصره المجيد، ويدعون إلى مساندة الأدب العربي في عصور قوته والحذر من الاتجاهات المتأثرة بأداب الغرب، وبخاصة المدرسة المهجرية [٨، ص ١٤٣، ١٤٤]، وإلى هذه المدرسة ينتمي عبد القدوس الأنصاري.  
ولما كانت بعض مظاهر التجديد قد جاءت على هيئة الشعر الحر وخلا بعضها من الأوزان وسلامة اللغة فقد اجتهد بعض النقاد في بيان رأيه في ذلك [٨، ص ١٤٤]، وفي المقدمة من هؤلاء الأنصاري بوصفه من النقاد المحافظين.  
ويلمح أحد النقاد إلى أن تسمية الشعر الحر والمنثور كانت "تشكل هاجساً مزعجاً لهذا التيار" [٤، ص ١٠٩].

ولقد استطاع المقال النقدي "أن يصور الخصومة المستخدمة على الساحة الأدبية بين أنصار الشعر التقليدي وأنصار الشعر الحر. وقد ظهرت هذه الخصومة في الصحافة والمجلات الأدبية منذ وقت مبكر، وكانت مجلة الرائد مسرحاً لهذه الخصومة" [١٦، ص ١٥٩].  
وكانت الخصومة في بادئ الأمر تدور في نطاق ضيق، إذ كان اعتراض خصوم الشعر الحر ينحصر في جانب واحد، وهو تحرره من القافية وخروجه عن إطار العروض التقليدي، غير أن الحجاج بين الفريقين لم يهدأ، بل ظل محتدماً "على صفحات الصحف والمجلات، وكانت أصوات المناوئين للشعر الحر أشد حدة؛ لأن الجديد دائماً يقابل بالنفور والهجوم" [١٦، ص ١٦٠، ١٦٢].



وبين الموقف الراض والموقف المؤيد، لاحظ باحث أن "ذهنية الأنصار والخصوم لم تكن تبحث في حقيقة الظاهرة بحثاً منطقياً مجرداً من الهوى والعصبية والذاتية أحياناً، وكان لكل ناقد أسلوبه الخاص في التعبير عن آرائه" [١٤، ص ١٤٠].

وإذا كانت التسمية الشائعة في الوقت الحاضر للشعر غير العمودي هي شعر التفعيلة، فإن الأنصاري لم يستخدم هذا المصطلح، بل كان يسميه باستمرار "الشعر الحر"، أو "الشعر المنثور" في بعض الأحيان. ويعتد عبد القدوس الأنصاري "من الشعراء المحافظين الذين يؤيدون الالتزام بالشعر العربي الأصيل القائم على الوزن والقافية، ولا يشجعون محاولات الخروج عليهما، وإن كان لا يعارض التجديد في المعاني والتنوع في القوافي" [١٢، ص ١٨٢]، ويلخص رأيه في الشعر المنثور في مقابلة نشرت في مجلة "المنهل" فيقول: "الشعر المنثور في رأيي ضرب من الشعر، وإن كنت لا أستطيع حتى الآن أن أجزم بأنه ضرب من الشعر العربي، فما رأيت حتى الآن في سابق عهد هذا الشعر نموذجاً من الشعر المنثور، وإنما رأيت أن الشعر لدى العرب هو ما التزم القافية والوزن"، ويبيد مرونة تجاهه حين يقول: "لا أعارض في هذا الذي اصطلح المحدثون على تسميته بالشعر المنثور..، فجيد هذا الشيء هو جيد، ورديته هورديء" [١٧، ص ٣٤٣، ٣٤٤].

وقد كتب الأنصاري قصيدة واحدة من الشعر المنثور بعنوان "وداعاً أيتها المناظر الخالدة" نشرت في المنهل عام ١٣٦٠هـ، ونشر لأحمد السباعي قصيدة نثرية وقدم لها قائلاً: "نشر هذه القطعة الفنية من الشعر المنثور بقلم الأستاذ أحمد السباعي، والشعر المنثور هو شعر العاطفة السامية والفن الرائع" [١٢، ص ١٨٣]. كما نشر قصائد أخرى من هذا النوع لشعراء آخرين، وهذا يدل على أنه من المتسامحين مع هذا الاتجاه الحديث، ولكنه في مقدمة ديوانه "الأنصاريات" المطبوع عام ١٣٨٤هـ "شن هجوماً عنيفاً على هذا الاتجاه الحديث الخارج على أصول الشعر العربي" [١٢، ص ١٨٣].

وقبل هذا التاريخ بسبع سنوات نشرت "المنهل" مقابلة قدّم لها المحرر بالكلمات التالية: "الحديث عن الشعر المنثور في هذه الأيام لا ينتهي، والنقاش حوله لا يهدأ" [١٧، ص ٣٤٣].

وباستعراض أقوال الأنصاري التي حدّدت بوضوح موقفه من الأشكال الشعرية الجديدة، ونقده الحاد لهذا التيار الجديد في الشعر في سياق استعراضه للدواوين الجديدة التي يتجاور فيها الشكلان: العمودي والتفعيلة، أو في تقديمه للدواوين التي تخلص للشكل العمودي، نراه لا يميل من الإبانة عن وجهة نظره، منتصراً للشكل التقليدي، مطلقاً عليه في غالب الأحيان "الشعر العربي الأصيل".

ولأنه يقف موقف الراض لم يستطع أن يصل إلى تعريف واضح للشعر الحر، ونراه يطلق هذا المصطلح على قصائد التفعيلة وعلى القصائد النثرية على السواء، منتقداً وجود قصائد من هذا النوع في دواوين حسن القرشي وعبد السلام هاشم حافظ [٣، ص ٥٨] و [١٨، ص ٨٥٨].

ووضع الأشكال الشعرية الجديدة في سلة واحدة ليس من الموضوعية في شيء؛ لأن ثمة فرقاً كبيراً بين شعر التفعيلة الذي يلتزم بالوزن ويتخلى عن القافية، وقصيدة النثر التي ينقصها الوزن والقافية؛ وتجدر رفضاً من معظم الشعراء والنقاد في الوقت الحاضر.

ومن الملاحظ أن عبد القدوس الأنصاري في نقده للشعر الحر لم يسر على طريقة واحدة، فأحياناً يشتم وينفعل ويحتد في موقفه، وتارة أخرى يبدو هادئاً يبدى وجهة نظره ولا يفرضها وتأخذ كلماته شكل النصيحة، تاركاً للزمن الحكم على هذه التجارب.

ويعود السبب إلى أن الأنصاري يراعي المخاطب، فإذا كان الحديث عاماً ولا يمس أحداً بعينه وفي سياق امتداح تجربة شاعر عمودي رأينا لهجته تعلق ونقده يشتم.

أما إذا كان الموقف لا يحتمل ذلك، كأن يتصدى بالنقد والتعريف لديوان زميل له، جاء نقده مغلفاً بالهدوء رقيقاً لا يجرح المخاطب ولا يخلو من مجاملة أحياناً.

ففي كتابه "أربعة أيام مع شاعر العرب" أثنى كثيراً على شاعرية عبد المحسن الكاظمي، ورأى فيها أبلغ رد على دعاة الشعر الحر متهماً إياه بالتكلف حينما أطلق عليه "المشعور"، ذلك أن الشعر "بأوزانه وقوافيه التقليدية صالح لكل زمان ومكان بعكس ما ينبزه عجزة الشعر المشعور في الزمن الحاضر من التقصير والتقييد" [١٩، ص ٦٦].

وفي تقديمه لديوان القلائد لمحمد بن علي السنوسي ربط بين أفول نجم الشعر وظهور الشعر الحر فقال: "كان بحق نجمه يأفل بسبب ما ركن إليه شعراء.. شعراء ما يسمونه الشعر الحر الذي لا يلتزم قافية ولا وزناً عربياً أصيلاً ولا منطقاً سليماً.. وهم يسيئون إلى هيكل الشعر ويظنون أنهم يحسنون"، ويحذر من فئتين تسيئان للشعر، وهما: طائفة النظامين، وطائفة الغرابيين، ويقصد بالأخيرة المتأثرين بالغرب وبشعر الغرب [٢٠، ص ط].

ولا يمل الأنصاري من حمل سوطه ليلهب به ظهور دعاة الشعر الحر كلما وجد فرصة سانحة، فهذا هو في ختام تقديمه لديوان السنوسي يقول: "من ذا يقيس هذا الدر اللامع بذلك المخشلب المهزوز من الكلام الرخيص والأسلوب (الغرابي) الذي حاول أن يقلد الغرب في صوغ أشعارهم المرسله الحرة؟؟" [٢٠، ص ي].

ولا يفتأ الأنصاري يدفع بالحجة تلو الحجة مؤكداً اقتدار الشعر العمودي وصلاحيته لكل زمان، نافياً حجج الخصوم الذين يرون في الوزن والقافية قيماً على الشاعر، ومن ذلك أنه كتب دراسة لكتاب "بدائع البدائه" لابن ظافر الأزدي (ت ٦١٣هـ)، مشيداً بالنماذج التي أوردها، ومما قال: "ومتتبع كتابه هذا يدرك بحق براءة

الشعر العمودي الموزون المقفى من التهمة التي يحاول بعض المستوردين لمبادئ الغزو الأجنبي أن يلصقوها بهذا الشعر الأصيل من أنه عاجز عن مجازاة الحياة المتقدمة ، ففي هذا الكتاب ما يقوِّض هذه التهمة وينفيها نفيًا قاطعاً ، ويثبت عكسها إثباتاً تاماً ملموساً " [٢١ ، ص ١٧].

ويعلق على تنوع الشعر الذي أورده ابن ظافر - مما قيل على البديهة - قائلاً : " الشعر العربي الموزون المقفى ليس من الصعوبة بمكان كما يقرر خصومه ، فمعلوم أن الإتيان بهذا الفيض الطامي من شعر البداهة لشعراء متعددين ينقض غزل هذا القول من أساسه نقضاً مبيناً ! " [٢١ ، ص ٢٠].

ويعقب على أبيات للبحثري (ت ٢٨٤هـ) قيلت على البديهة قائلاً : " أبيات البحثري هذه تبرهن للقارئ على مرونة الشعر العربي العمودي المقفى الموزون وطواعيته للإفصاح عن أغراض الإنسان ومراميه مهما تكن عميقة أو بسيطة بشكل منقطع النظير " [٢١ ، ص ٨٤].

وفي الوقت الذي تطرّبه الأبيات العمودية ، يجد في ذلك فرصة لمهاجمة الشعر الحر ، ومن ذلك قوله : " من بدائع البدائنه التي تفضي بنا إلى الاقتناع بمقدرة اللغة العربية في تكوين جيل بل أجيال من رواد الشعر البدهي القوي الذي يوصلنا بدوره إلى عدم وجود أي عجز أو قصور في هذا الشعر العمودي أو فراغ يملؤه ما يسمى بالشعر الحر ، وهو ليس شعراً وليس حراً !! " [٢١ ، ص ٨٧].

هذه آراء الأنصاري بوضوح وصراحة ، غير أنه في مواضع أخرى يهادن أصحاب هذا الاتجاه ويجاملهم ويكاد يقبل بتجاربهم ، مع إسداء النصح لهم بأن الشعر العمودي هو الأصل والأصلح ، ففي استعراضه لديوان عبد السلام هاشم حافظ " صواريخ ضد الظلم والاستعمار " قال : " نظمه على نمطين من الشعر : نمط الشعر الموزون المقفى ، ونمط الشعر الحر الطليق من قيد الوزن أو القافية . وموقف رئيس تحرير المنهل من النمط الأول هو التقدير لما يكون منه جيداً ومفيداً وطريفاً ، وموقفه من نمط الشعر الثاني التريث انتظاراً لما سيكون منه ذا حيوية وشاعرية عميقة هادفة من غير إخلال بموازين البيان العربي ، وليس موقف رئيس التحرير من هذا اللون من الشعر المعارضة المطلقة ، فللشعر أن يتحرر ، وله أن يتغير في الأساليب والأوزان والقوافي ، فلم يرد إلينا نص مقدس بضرورة التزام الشعر العربي وأوزانه طيلة الأبد ! " [٢٢ ، ص ٥٨].

وفي أثناء عرضه لديوان حسن القرشي " ألحان منتحرة " توقف عند القسم الخاص بالشعر الحر فقال : " إن هذا اللون أعتقد أن شعر الأستاذ القرشي الرصين الموزون المقفى أرفع مستوى منه بكثير ، ثم من أين جاء ؟ لقد كشف عجز شعراء العصر الحاضر ، إنهم استعملوه حينما وهنوا ، فما يسمونه الشعر المتحرر هو عكاز وهن أدبي استعمله شعراء العصر الحاضر حينما بعدت عن مستواهم تلك الثمار اليانعة الشهية من الشعر العربي الأصيل ، فعسى أن يبتعد شاعرنا القدير عن هذا اللون من سماوات العجز .. " [١٨ ، ص ٨٥٨].

وواضح أن هناك تذبذباً في موقف الأنصاري من الشعر الحر أو الشعر المنشور، ففي مستهل حياته كتبه ورحب به في مجلته، ثم هاجمه، وبين الهجوم والترحيب نجد له أقوالاً فيها اعتدال وبعد نظر من نحو قوله محمداً موقفه من الشعر الجديد: " التريث انتظاراً لما سيكون منه ذا حيوية وشاعرية عميقة هادفة...". وقد أرجع نبيل المحيش هذا التذبذب إلى أنه كان في مستهل حياته " من المتأثرين بالدعوات إلى الأشكال الجديدة في الشعر، والدليل أنه كتبه وأثنى على هذا الاتجاه في مرحلة مبكرة من حياته، ولكنه عدل عن رأيه هذا بما أثبتته من قول في مقدمة ديوانه المطبوع عام ١٣٨٤ هـ [١٢، ص ١٨٤].

ومن الواضح أن رفضه للشعر الحر راجع إلى اقتناعه الأكيد بأن القوافي والأوزان هي أهم خصيصة للشعر العربي، وهي الفارق بين الشعر وغيره، وأنها لا تقف عائقاً أمام الشاعر المقتدر، وأن الشعر الحر ليس شعراً وليس عربياً، ويتصل بشعر الغرب وأدب الغرب بسبب قوي، ويدل على العجز وضعف الشاعرية؛ ولذلك نراه ينظر إليه بسخرية مرة ويهون من شأنه ويغمزه، ويصفه بالمشعور في إشارة إلى أنه متكلف، ويقدم له بازدراء حين يصفه فيقول: " يسمونه الشعر المتحرر"، أو " ما يسمى بالشعر الحر" [١٨، ص ٨٥٨] و [٢١، ص ٨٧].

### المعارك الأدبية والنقدية

اتسم عصر عبد القدوس الأنصاري وجيله بظهور المناوشات والمعارك الأدبية والنقدية؛ نظراً لأن الحركة النقدية في الوطن العربي وقتذاك، وبخاصة في مصر كانت تصادية؛ ولذلك " انبهر بها شدة الأدب والنقد في البلاد وأصاخوا لها واستشرفوا نتائجها..، وحملهم على محاولة افتعال معارك ماثلة أشعلها العواد وشحاته والعتار وفلالي وضياء" [٢٣، ٢/٦٥]، وغيرهم.

ويفسر منصور الحازمي حدة المعارك النقدية لدى الرواد تفسيراً طريفاً فيقول: " للحارة القديمة في مدن الحجاز مكانة عظيمة.. وتدور بين الحارات معارك طاحنة تستخدم فيها جميع الأسلحة المتاحة..، والنقد الأدبي الذي نشأ في مدن الحجاز اقتبس من الحارة عنفها وعصبيتها. هكذا يمكننا أن نفسر المعارك الأدبية التي احتدمت بين العواد وحمزة شحاته.. وبين العواد وعبد القدوس الأنصاري.. إنها معارك لا يهمها النص بقدر ما يهمها صاحب النص، لا تهمها الحقيقة بقدر ما يهمها القتال وإحراز النصر" [٢٤، ص ٩٩].

وأما أدوات القتال في نظر الحازمي فتتمثل في السلاح التقليدي الذي كان منتشرراً آنذاك، ويعني به " سلاح الهجاء المفعم بالسخرية والتهكم" [٢٥، ص ٢٠٩].

ويصفها بعض الباحثين بأنها " بعيدة كل البعد عن روح النقد المنهجي الصحيح الذي يفتح مغاليق النص أو يسهم في ذلك" [٢٦، ص ٣٠].

ومنهم من نظر إلى المعارك بموضوعية أكثر فرأى أن بعضها كان قريباً من النقد، وبعضها الآخر أشبه بالخصومات الشخصية، واستنتج من آرائهم حولها أنهم يمثلون فريقين:

فريق يرى أن الرفق وعدم الاندفاع في النقد هو الأسلوب الملائم، وفريق يميل إلى العنف والشدة وعدم المجاملة [٨، ص ١٦٦].

ووصف بعضهم نقد الرواد بأنه "يقوم على العاطفة والاستنتاج السريع - في مجمله -؛ مما يثير حفيظة بعض الكتاب والشعراء ويتحول النقد من تقويم وإعادة نظر في النص إلى شخصية الكاتب، ثم إلى المعارك الأدبية، ثم إلى المعارك الكلامية والاتهامات الشخصية، مما يضطر أرباب الأدب والأصدقاء إلى التدخل السريع والمباشر لفك الاشتباك، إما بالإصلاح، وإما بالإيقاف مثلما حصل بين محمد حسن عواد وعبد القدوس الأنصاري" [٤، ص ٨٣].

ويهمنا في هذا السياق بيان وجهة نظر الأنصاري في المعارك الأدبية والنقدية، وبخاصة أنه تحدث عنها نظرياً ومارسها تطبيقاً في معارك مختلفة؛ ولأنه ممن اكتوى بناها في وقت مبكر من حياته الأدبية وهو في سن تقل عن الثلاثين عقب صدور روايته (التوأمين) وقصته (مرهم التناسي)؛ لذلك عني بالحديث عنها وحدّ من نتائجها والتماهي فيها، وكان حريصاً على أن يستهل مجلته المنهل "بمقال افتتاحي يتناول فيه بعض القضايا، وكان يؤكد دائماً أن مجلته يجب أن تبتعد عن المعارك الأدبية؛ لأنها في رأيه تتحول إلى خصومات شخصية ومهاترات" [١٦، ص ٥٤]، وقاومت المجلة في الوقت نفسه الدعوة إلى التشهير، ودعت إلى النقد البناء، "والتزمت جانب النقد الموضوعي" [١٢، ص ٩٢].

وكان النداء بالنقد النزيه وتداوله بين الكتاب في نقاشهم الأدبي أمراً طبعياً في ظل المشهد الأدبي آنذاك؛ لانتشار "النزعة الذاتية في النقد والميل إلى الأهواء وإطلاق النعوت القاسية على الأديب المنقود" [١٤، ص ١٠٩]. وقد أدرك الأنصاري ما أحاط بهم من فوضى أدبية وتذبذب نقدي، فألمه ما آل إليه حال النقد، يتضح ذلك في قوله: "أما النقد فقد كان الغرض المقصود منه لدى الأدباء هو الغض من كرامة الكاتب أو الشاعر، والخط من قيمة أثره النثري أو الشعري توصلاً بذلك إلى التشفي منه، أو حيلولة ما بينه وبين الشهرة الأدبية المعسولة" [٢٦، ص ٣٠، ٣١]، ويربط بين المعارك الأدبية في المملكة والأدب المهجري فيقول: "هكذا كانت الأسس التي يقوم عليها بنیان النقد الأدبي في الحجاز إلى عهد قريب جداً، وقد نكون صائبين جداً إذا قلنا: إن هذا اللون من النقد هو نتيجة من نتائج الأسلوب المهجري ولازمة من لوازمه" [١٤، ص ١١١].

ولقد شكنا من هذا الأمر في أكثر من موضع وفي فترات متفرقة من حياته، ففي السبعينيات الهجرية من القرن الماضي تساءل بحرقه: "فما ينبغي أن تدوم هذه الحالة بيننا، فأين النقد البناء؟ وأين الصحافة الواعية البناءة التي تعرف كيف تشيد للأدب قصوراً شامخة؟؟" [٣]، ص ٦٥].

وفي سنواته الأخيرة وفي لقاء صحفي<sup>١</sup> سئل عن خفوت المعارك الأدبية فأجاب باستفاضة وشرح وجهة نظره بوضوح فقال: "من هذه المعارك الأدبية ما هو وبال على مسيرة أدبنا، فهي بمثابة العقاب (جمع عقبة) التي تقف في طريق انهماجه وفيضانه؛ لتعوقه عن التدفق المنشود بما ترسبه في كيانه وذويه من حزازات، وبما تبثه من مناوشات فيها جارح ومجروح وطاعن ومطعون.. لا دخل للأدب ولا النقد العلمي والأدبي البناء فيه، فخفوت هذه المعارك ليس مما يدل على وهن الأدب، بل قد يمكن أن يكون من وجهة نظري برهاناً ساطعاً على تجاوز فن النقد لدينا مرحلة الطفولة التي تدعو إلى اللوغ في انتهاك كرامة الأدباء؛ مما يعرضهم للسخرية والتهكم في نظر كثير من القراء.." [٢٧]، ص ١١٢].

ومما يحمد للأنصاري أنه تمثل كل أقواله سلوكاً لا يجيد عنه، ولم يتعارض قوله مع فعله، فما عرف عنه انزلاقه في مهاترات أو تجريح شخصي، وشهد له معاصروه من مثل أحمد عبد الغفور عطار (ت ١٤١١هـ)، وعبد الله بن خميس وغيرهما، ومن جاء بعدهم من الباحثين والدارسين بأنه يتوخى الموضوعية في نقده، وحكموا له بالانتصار في المعارك التي خاضها؛ لأنه التزم الهدوء ولم ينجرف إلى الأمور الشخصية وحاول ألا يتعدى نقده النص إلى كاتب النص، ولم يعهد عنه "أنه شاتم أحداً، أو تكلم عليه بسوء، في وقت كانت تشيع فيه الشتائم والمهاترات. وبلا ريب فإن تخلي الأنصاري عن سلوك هذا المسلك الشائن جعل له مكانة كبيرة في نفوس الأدباء؛ لأنه لم يسيئ إلى أي منهم" [٢٨]، ص ١٧٣].

ومن أشاد بذلك عبد الله بن خميس الذي وصفه بأنه يلتزم الموضوعية وينأى عن الانفعال واستهداف الناقد دون النقد، ويتعد "عما يفعله بعض الناقدين والمنقودين من مهاترات وتجريح وثلب وسب" [٢٩]، ٢٢٥/١].

### معركة قصة مرهم التناسي

في شهر جمادى الآخرة من عام ١٣٥٢هـ نشر عبدالقدوس الأنصاري قصة بعنوان "مرهم التناسي" في جريدة صوت الحجاز "صوّرت شخصاً تستولي عليه الهموم وقلبه يمتلئ بالأحزان، وشخصاً آخر يمتلئ قلبه بالأمال ومباهج الحياة يعطي صديقه المحزون مرهماً لتناسي الهموم" [٨]، ص ١٦١<sup>(٣)</sup>.

(٣) اقرأ نص القصة في جريدة صوت الحجاز، العدد ٧٢، (١٣٥٢/٦/٨هـ)، أو في [١٢]، ص ١٤٩].

وبعد نشر القصة بأسبوع واحد كتب محمد حسن عواد مقالة نقدية حادة تحامل فيها على الأنصاري، وأبدى ملحوظات متعددة، منها :

- ١- أن العلم يختلف عن الفن، وقصة الأنصاري لا فن فيها ولا روح ولا ذوق ولا خيال.
  - ٢- انعدام الجو الفني فيها، وقصر النظر إلى حالة النفس الإنسانية، وبعدها عن حقائق علم النفس، والمفاجأة في الانتقال من خلق الرجل المحزون إلى رجل ممراح، وخلوها من الخيال الممتاز.
- وتدخلت أطراف في المعركة منتصرين للأنصاري، منهم : كويتب (من أدباء المدينة)، وعبد الحميد عنبر(ت١٣٩١هـ)، وغيرهم. وبعد مرور أكثر من شهر على نقد العواد كتب الأنصاري " مفنداً التهم التي كالمها خصمه ومحلاً إياها واحدة بعد أخرى، ومتجنباً ذلك الأسلوب المسف الذي نقد به من قبل العواد، مظهراً قدرأ كبيراً من الأناة والرصانة وسعة الصدر، ومتخذاً في رده أسلوب من يترفع عن التهويش " [١، ص ٤٩٠-٥٠٠]، وفيما يلي تلخيص لرد الأنصاري :

- ١- أن العواد لم يلخص القصة ويحلل نقاطها تحليلاً فنياً.
- ٢- أن عمل العواد عمل عقيم يترفع عنه الأدب والفن؛ لأنه يعود بهما إلى الوراء بدلاً من أن يمضي بهما إلى الأمام.
- ٣- عدم خروجه بأحكام نقدية من مقالته.
- ٤- نصحه بالابتعاد عن ميدان النقد ليريح دماغه ويريح القراء من عناء محاولته كتابة النقد الأدبي الفني [٨، ص ١٦٢].

وتعد هذه المعركة من أشهر المعارك التي خاضها الرواد في مرحلة مبكرة، وتناولتها كل الدراسات التي تصدت لتأريخ للنقد الأدبي في المملكة، وللمقالة النقدية، وكلها - تقريباً - كانت تنتقد أسلوب العواد، وتمتدح رصانة الأنصاري وبعده عن المهاترة واللجاج.

وقد تناول هذه المعركة عدد من الدارسين والباحثين، منهم : حسن الهويميل، وسلطان القحطاني، ومحمد العوين، ونبيل المحيش، وغيرهم.

فالهويميل يحكم على هذه المعركة بأنها تمثل " أخط أخلاقيات النقد من جانب العواد...، وهي لون من الهجاء الشخصي " [٢٣، ٩١/٢].

والقحطاني يميل إلى أن الرؤية النقدية في نقد العواد لمرهم التناسي لم تكن واضحة في ذهن الناقد، وكان " معول الهدم أسرع من لبنة البناء، والغرض النفسي هو المسيطر على عاطفة الناقد قبل عقله " [٤١، ص ١٧٧].

أما محمد العوين فيفرق بين مفهومي معركة ومناوشة، ويصنف النقاش الذي دار حول القصة بأنه معركة؛ لأن النقاش حولها احتدم بين أخذ ورد في صور مختلفة من أساليب العرض والتدليل والإقناع، ويبسط أسباب

المعركة وأطرافها ونتائجها ومكانها وزمانها، ويقرر تفوق الأنصاري على ناقده محمد حسن عواد في أمور كثيرة، منها "الأسلوب العميق الهادئ، والعاطفة المتزنة، ووضوح غايته من عمله الأدبي، واتصافه بأخلاقيات الفن وسموه في رد التهمة ودفع التقول" [١، ص ٥٠٢].

وإزاء اندفاع العواد وشتائمهم كان الأنصاري "يرد طيش خصمه في حكمة وأدب بعيداً عن الإسفاف والقدح والتشهير بما يعيب، ومنكراً على من يذهبون إلى العنف والقسوة في النقد" [١، ص ٥٠٤].

ومن الذين تناولوا المعركة نبيل المحيش الذي أورد نص القصة ثم استعرض نقد العواد متفقاً معه في وجود أوجه قصور وعيوب في القصة، إلا أنه اختلف معه في اتخاذ مواقف شخصية من الأنصاري، ذلك أن المتأمل "لما كتبه العواد يلاحظ هجوماً شخصياً على ذات عبد القدوس وتسفيهاً لآرائه وفكره، وهذا أمر مرفوض من كاتب ناقد له مكانته الأدبية عند الآخرين، وخروجاً بالأدب من ميدانه الفني إلى ميدان الشتائم والسباب" [١٢، ص ١٥٣].

ويصف ظافر الشهري في دراسته للنقد الانطباعي لدى النقاد السعوديين رد الأنصاري على العواد بأنه يشف عن "وعي مميز بمفهوم النقد وآلياته، يظهر هذا الوعي منذ الفقرة الأولى في رده حيث يقول: "وإني مبدئياً أستلقت نظر الناقد إلى أن الأساس الحكيم الذي تواطأ عليه مهرة الناقلين بحق هو أن يلخصوا فكرة الكاتب أو الروائي تلخيصاً صائباً ويستشهدوا بنبذ أساسية من الكتابة المنقودة" [٥، ص ١٧٣].

ويحكم على المعركة حكماً عاماً محاولاً أن يتلمس المؤثرات حين يقول: "تصور هذه المعركة كما المعارك الأخرى الوعي الذي تمثله نقاد المرحلة لمفهوم النقد، والذي يقوم في طرف منه عند كثير منهم على نقد الذوات قبل نقد الأعمال، وعلى التجريح والتهجم، وهذا أثر واضح من آثار النقد المصري في نقد المرحلة من جهة، وتعبير دقيق عن ضعف ثقافة الحوار والاختلاف وقوة ثقافة الصواب الواحد" [٥، ص ١٧٥].

### الأنصاري والنقد التطبيقي

بدأ عبد القدوس الأنصاري حياته النقدية دفاعاً عن نفسه وعن أعماله القصصية والروائية، ثم نشر مقالات متعددة عرض فيها لبعض القصص والدواوين الشعرية، وألف بعض الكتب عن الشعر والشعراء، وهي في مجموعها تمثل الجانب النقدي التطبيقي له، بحيث يمكننا من خلال الاطلاع عليها تلمس منهجه النقدي ومقاييسه التي ينطلق منها.

ومن الملاحظ أن الأنصاري اهتم بالقصة في مستهل حياته كاتباً وناقداً لها، ثم انصرف عنها إلى نقد الشعر؛ ربما لقلّة الأعمال القصصية بالمقارنة مع الشعر؛ وربما لميوله لقراءة الشعر ونقده.



## أولاً: نقد القصة

تناول الأنصاري بالنقد عملين قصصيين في عام واحد، وهو عام ١٣٦٨هـ، والعمالان هما: "فكرة" لأحمد السباعي، و"البعث" لمحمد علي مغربي. وقد حدّد في مستهل نقده لفكرة نوع الكتابة بأنها علمية أدبية، وليست صحفية لمجرد سد الفراغ، ويتلخص نقده للقصة في الآتي:

- ١- أن القصة تعبر عن شعور صاحبها، وأنها قبس من آرائه في الحياة والمجتمع.
- ٢- يغلب على القصة من خلال شخوصها وأماكنها طابع بلادنا في دورها الانتقالي الحاضر.
- ٣- أن القصة تشبه (قصة زينب) لمحمد حسين هيكل (ت ١٣٧٦هـ) في قوة التعبير وإقليمية السمات ومعالجة قضايا الإصلاح.
- ٤- أن أسلوب (فكرة) جزل فخم يدل على نضج واستيعاب حياة من تحدث عنهم القصة.
- ٥- تجمع القصة بين الفن والعلم والإصلاح.
- ٦- يؤخذ على القصة بعض المآخذ الفنية، منها التوطئة التي قدمت بها القصة وتكرار المناظر الطبيعية بشكل واضح.

٧- يؤخذ على القصة بعض المآخذ اللغوية، منها مثلاً: (لا تكف تدر)، والصواب (لا تكف عن الإدراج)، و(في نواديهم)، والصواب (في أنديتهم) [٣٠، ص ٣٦٤-٣٦٧] و [٢٦، ص ٥٢]. وفي عرضه لرواية (البعث) لمحمد علي مغربي يأخذ نقده مساراً ليس بالبعيد عن نقده لفكرة، وفيما يلي أبرز الأمور التي أثارها في نقده:

- ١- هيكل القصة وتحديد أماكن حدوثها، وبيان أن الهدف العام للقصة هو الإصلاح الاجتماعي والديني.
- ٢- الحبكة الفنية وانسياب الألفاظ ودقة التعبير.
- ٣- التمكن من رسم شخصيات القصة وإدارة الحوار فيما بينها.
- ٤- تصوير القصة لنفسية الشباب في البيئة المحلية.
- ٥- اتساع أفق القصة بعلاج أهم القضايا العالمية من الشرق والغرب كقضايا الاستعمار.

أما عيوب القصة فيحدها الأنصاري بالمآخذ التالية:

- ١- وصف صفة المريض بالجمال.
- ٢- تكرار بعض الصيغ والألفاظ، كتكرار كلمة (جميل) في خمس وعشرين جملة.

٣- مآخذ لغوية كاستعمال (كوبات) بدلاً من (أكواب)، و(ماسورة) بدلاً من (أنبوبة) [٣١، ص ٥٢-٥٤]، [٢٦، ص ٥٣].

وقد أخذ بعضهم على عبد القدوس الأنصاري الاهتمام بالجوانب اللغوية دون التعمق في النصوص، فقال: " الأنصاري عندما ينقد يضع نصب عينيه الجوانب اللغوية وظاهر النص، ففي نقده لرواية محمد علي مغربي (البعث) قام الأنصاري بنقدها نقداً أقرب إلى التقريظ منه إلى النقد الحديث، فالإعجاب والتشجيع من صفات هذه المدرسة ومن أصول منهجها<sup>(٤)</sup>، وعندما أراد أن يجللها حللها تحليلاً انطباعياً وقال: إن هدفها الإصلاح.. ثم نقد ما فيها من عيوب وبعض الاستعمالات اللغوية، ويلاحظ على الكاتب تكرار الكلمات بأسلوب إحصائي..، ويفعل ذلك في نقده لرواية أحمد السباعي (فكرة) حيث لم يخرج منها بأكثر من النقد اللغوي " [٤، ص ١١٠].

على أننا نجد باحثاً آخر يشيد بمنهج الأنصاري، وبخاصة في استعماله للإحصاء وتوظيفه نقدياً بوصفه من المقاييس النقدية المعاصرة التي تسعى إلى تفسير ظواهر معينة [٨، ص ١٦٧، ١٦٨].

ثانياً: نقد الشعر

يستند عبد القدوس الأنصاري إلى مرجعية نقدية تراثية في المقام الأول، ويظهر تأثره بالخطاب النقدي العربي القديم واضحاً، ويشير في مقالته " أدب النفس وأدب الحس " إلى اثنين من النقاد القدامى، وهما: ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وابن رشيق (ت ٤٦٣هـ) [٩، ص ١].

وينتمي إلى مذهب المحافظين، وهم الذين اهتموا بجودة الصياغة والمحافظة على الأسلوب الفصيح من غير إسراف في المحسنات البديعية أو تكلف في الألفاظ، و" المطلع على مجلة المنهل يجد عنايتها بنشر التيار المحافظ، وهو ما يميل إليه عبد القدوس فيما يكتبه من شعر، ويعتمد بناء القصيدة عند الأنصاري على شرف المعنى وصحته وحسن اختيار الألفاظ المناسبة مع قوة السبك ومراعاة الوحدة الموضوعية " [١٢، ص ٢١٥، ٢١٦].

وفي سياق دراسته للصحافة الأدبية في المملكة، وصف غازي عوض الله مقالات الأنصاري النقدية بأنها تمثل الاتجاه التقليدي " الذي يهتم بالصياغة اللغوية دون النفاذ إلى المضمون "، ومثل لذلك بمقالته " في القوقعة السحرية مع الأستاذ قنديل في أبراجه وأصدائه وأغاريد " [١٦، ص ١٢٤].

وهو حكم إن كان يصدق على بعض مقالاته، فإنه لا يصدق عليها مجتمعة، وهو ما سيتضح من خلال استعراض مقاييسه النقدية ومنهجه في تناول الأعمال ونقدها.

(٤) يقصد مدرسة المدينة النقدية التي يتزعمها الأنصاري.

وبالنظر إلى أعمال الأنصاري النقدية نجد تفاوتاً بينها ؛ لأنها كتبت في فترات متباعدة، أقدمها ربما يعود إلى عام ١٣٧٧هـ، وآخرها إلى عام ١٣٩٩هـ تقريباً، ولاختلاف الغرض، فبعضها جاء تقدماً لديوان، أو تحليلاً له، أو في سياق التعريف به في مجلته المنهل؛ لذلك تفاوت المستوى تبعاً لهذه الفوارق. ومن الطريف أن الأنصاري إذا كان عرض الديوان سريعاً ولم يصل إلى تطلعه لم يضع اسمه الصريح واكتفى بتوقيع "باحث"، أو "المحرر"، أما إذا بذل جهداً في الكتابة وقّع بالاسم الصريح وكتب تحت الاسم "عرض وتحليل" كما فعل في نقده لديوان "حنانيك" لعبد العزيز خوجة [٣٢، ص ١٥٧٩].

ويقوم منهجه في الغالب على مدخلٍ يُثني فيه على صاحب العمل، ويتلمس مواطن الجودة في العمل شكلاً ومضموناً، ثم يستعرض القصائد ويحاول أن يصنفها إلى مجموعات ويستشهد على ذلك، ثم يتوقف عند المآخذ إذا كان ثمة مآخذ، ويركز على الجوانب اللغوية، وعلى مهاجمة الشعر غير العمودي، وقد يشير إلى أنه لم يجد شيئاً يؤاخذ به الشاعر، ثم يختم بأن الملاحظات لا تنقص من العمل ويثني على الشاعر وقصائده. أما المعايير النقدية التي يستند إليها فهي لا تختلف كثيراً عن جيله من الرواد، إذ إن "ذوق الناقد وثقافته هما الأداة الرئيسة لدى نقاد تلك الفترة في تفاعلهم مع النص الأدبي، وكان لهما أثر فاعل في إثراء العملية النقدية" [٨، ص ١٦٦].

ويجمع الأنصاري بين النقد الذاتي التأثري، والنقد المعياري الموضوعي، ومثال الأخير استناده إلى مقاييس نقدية قديمة، كالاهتمام بالصحة اللغوية، والنظر إلى سلامة الوزن وملاءمة القافية، والعناية بالجوانب البلاغية في النص، وسوى ذلك.

ومن الأمثلة على ذلك: وقوفه على أخطاء لغوية في ديوان القاسم بن علي بن هتميل وتصويبها، والإشارة إلى استخدامه للغة "أكلوني البراغيث" والنفور من استخدامه لألفاظ مهجورة [٣٣، ص ٢٣٩-٢٤٩]؛ وتنبه حسن القرشي إلى بعض الأخطاء اللغوية والأسلوبية في ديوانه "ألحان منتحرة" [١٨، ص ١٨٥٩].

وتأخذ الجوانب العروضية نصيباً لا بأس به من اهتمام الأنصاري، ومن ذلك امتداحه لالتزام الشاعر بالوزن والقافية مع التأكيد على أهمية التجديد في إطارهما، وخير مثال على ذلك مقالته عن الشاعر أحمد عبد الجبار إذ نراه يقول: "يلتزم القافية والوزن العرييين في قصائده لا يبغي عنهما حولا، وإن كان يرتقي بما تنضويان عليه إلى ذرى التجديد في التصوير والوصف وبث العواطف والأشجان" [٣٤، ص ١١٧].

ويتوقف عند الجانب الموسيقي في القصيدة، ومن ذلك إعجابه بقصيدة دالية لعبد المحسن الكاظمي حيث قال عنها: "هي من الشعر المرقص الأخاذ بأجراسه العذاب ونغماته الموسيقية الحلوة الجذابة، ولقد

اختار الكاظمي لبعض وطنياته اللامعة هذا البحر الخفيف الوجيز التفاعيل ؛ ليكون أسرع إلى الحفظ وإلى الإدراك " [١٩ ، ص ١٢١].

ويقوده ذوقه إلى عدم الارتياح إلى قافية معينة ، ويحكم عليها بأنها لتكملة الوزن كما فعل مع طاهر زمخشري (ت ١٤٠٧هـ) عندما لاحظ أن كلمة " لذات الفنون " في قوله :

والروابي الخضراء ممدودة الأط راف بسامة لذات الفنون

جاءت لتكملة البيت لا غير [٣٥ ، ص ١٣٩] ، ويتوقف عند قافية للكاظمي ويقترح أخرى [١٩ ، ص ٢٦].  
وللبلاغة وقضاياها ومصطلحاتها نصيب وافر من اهتمام عبد القدوس الأنصاري ، إذ نراه يهتم بالمطلع والمقطع ، ويقرب النص إلى المتلقي بنثر المنظوم ، ويتوقف عند الصور أو التشبيهات الجيدة ، ويعيب بعض الاستخدامات الخاطئة في سياقها ومدلولها البلاغي ، ويمتدح المحسنات البديعية العفوية ، ويكلف بالموازنات بين الشعراء ، أو بين الأبيات المتشابهة ، ويحلل بعض الظواهر البلاغية ، وسوى ذلك من أمور.

ولعل أهم الأمور التي تستوقف الأنصاري في القصيدة مطلعها ، فإذا وجد المطلع مناسباً للمقام أو لوجود محسنات بديعية غير متكلفة وصفه بالموفق ، ومن ذلك استحسانه لمطلع قصيدة لأحمد قنديل (ت ١٣٩٩هـ) حيث قال : " وهذا الصنيع يمثل براعة استهلال حديثة لا إخال أن أحداً من شعرائنا تصدى لها من قبل " ، ويقول عن قصيدة لعبد المحسن الكاظمي : " وفي هذا المطلع براعة استهلال وإجادة للمدخل وتجميل له " [٣٦ ، ص ٣١ ، ٥٠].

وكما يُعنى بالمطلع لا ينسى الأنصاري المقطع ، ونراه يقول مشيداً بالبيت الأخير من إحدى القصائد :  
" ما أبدع البيت الأخير وما أرفع مكانه في دنيا الشعر ! " ، ثم يحلل البيت ويقف على جمال التعبير فيه [٣٦ ، ص ٢٥ ، ٣٦].

وكثيراً ما يعمد الأنصاري إلى نثر المنظوم كما هي عادة القدماء ، ومن ذلك تعليقه على بيتين لفؤاد الخطيب (ت ١٣٧٦هـ) ، وهما :

ليثُ الجزيرة إن يهتف بها انتفضت لديه فاندفعت منها الصناديدُ  
لو تستطيع الجبال الشمُ لاخلعت ركضاً إليه وشدت خلفها البيدُ

يقول الأنصاري شارحاً : " ها هو ذا يقول : إن أسد الجزيرة إن يهتف طلباً لنجدتها ورفعتها انتفضت لديه فاندفعت إليه معها الأبطال " ، وفي موضع آخر نراه يقول : " يقول فؤاد : إن الملك عبد العزيز ذهب إلى رحمة ربه بعدما شاد صروح الأمن في داخل بلاده.. " [٣٦ ، ص ٧٠ ، ٧٧].

وثمة اتجاه دلالي له جذوره التراثية ، وهو إقامة موازنات بين الشعراء ، أو بين قصائد لهم أو أبيات ، وهذا الأمر له حضوره الواضح في خطاب الأنصاري النقدي ، ويعود إلى كثرة اطلاعه على الشعر ، وبخاصة القديم ، ومن هنا فهو كثيراً ما يستدعي أبياتاً قديمة ويربطها بأبيات معاصرة ، أو يوازن بين شاعرين معاصرين لوجود تشابه في المضمون أو الشكل ، وربما حكم لأحدهما بالتفوق على صاحبه ، وفي الغالب يكتفي بالإشارة إلى وجود ملامح مشتركة بين النصين أو الشاعرين.

ومن ذلك دراسته لشعر ابن هتميل ، إذ أورد أبياتاً له ثم وازن بينها وبين أبيات قديمة. يقول الأنصاري معلقاً على ذلك : " أشتم فيها رائحة قصيدة للمتنبى " ، وفي موضع آخر : " أرى فيه ملامح من شعر المتنبى " ، ويسمي هذه العملية " مقارنة شعرية " حين يقول : .. وتقودنا المقارنة الشعرية إلى أن نقارن بين قوله..إلى بيت لشاعر قديم بهذا المعنى نفسه " [٣٣ ، ص ٢٣٧]. والأدق وصفُ هذه العملية بالموازنة ؛ لأن لغة النصوص واحدة ، فإذا اختلفت اللغة أطلقنا عليها مقارنة [٣٧ ، ص ١٩].

ويوازن بين عبد المحسن الكاظمي والشعراء السابقين في ظاهرة السهولة في الشعر ويقدمه عليهم حين يقول : " وظاهرة الانسجام والسهولة والامتناع واضحة في أبيات الكاظمي.. ، وهي سهولة محببة يمتاز بها عن سواه من شعراء عصره.. لقد بلغ الذروة وفاق البهاء زهيراً " [١٩ ، ص ٣٤].

وأورد بيتين لأحمد فتحي (ت ١٣٨٠هـ) ، ثم تذكر ما يشابههما من شعر قديم فقال : " وربما ذُكر هذان البيتان قارئهما بقول أبي تمام... " ، ويشير إلى بيت لامرئ القيس (ت نحو ٨٠ ق.هـ) تذكره وهو يستعرض قصيدة لفؤاد شاعر (ت ١٣٩٢هـ) [٣٦ ، ص ٢٣ ، ٨٠].

ويجري الأنصاري موازنة بين ثلاثة من الشعراء السعوديين مع إيراد تعليل موجز حين يقول : " ومن رأبي أن كلاً من : علي بن محمد السنوسي ، ومحمد بن عثيمين ، وابن بليهد ؛ كل ثلاثتهم يتحون من بئر عربية واحدة غزيرة. وقد توصلنا إلى هذه النتيجة بعد دراسة شعر هؤلاء الشعراء الثلاثة " [٣٦ ، ص ٦٧].

ويطيب للأنصاري أن يربط بين شعر محمد بن علي السنوسي وإيليا أبي ماضي (ت ١٣٧٧هـ) دون أن يقدم شواهد على هذا التشابه ، مكتفياً بالقول : " السنوسي في بلادنا يتربع على أريكة الحمائل التي تربع عليها من قبل في المهجر أبو ماضي كما يبدو لي " [٣٨ ، ص ١٩٦].

ومن الأمور التي يستحسنها الأنصاري في الشعر: المحسنات البديعية والتشبيهات إذا جاءت عفوية غير متكلفة، ومن ذلك إشادته باستخدام أحمد الغزوي (ت ١٤٠١ هـ) للجناس في مطلع إحدى قصائده دون تكلف. يقول: " يبدو لي أن الجناس الذي ورد في هذا البيت لا يخلو من انسجام و عفوية ظاهرة" [٣٦، ص ١١٦]، ويمتدح وصفاً عفويةً فيقول: " الوصف الذي أعطاه الشاعر لليلة الزفاف لا يبدو عليه التكلف أو التعسف" [١٩، ص ٣٩]. ويأخذ على ابن ظافر الأزدي السجع المتكلف ويقول عن كتابه " بدائع البدائنه " : " اعتراه بعض ما ينقد به بسببه، فكثير من نشره سجع متكلف، غني بالمحسنات البديعية التي زادت عن حدها"، ويحاول أن يقف على السبب، مرجعاً ذلك إلى ذوق العصر الذي عاش فيه. كما يصف تشبيهاً له بأنه غير مناسب [٢١، ص ٥، ١٩٢]. وللأنصاري وقفات مع الصورة وسياقها، فلقد أخذ على حسن القرشي وصفه اليأس بأنه أحمر، ورأى أن الأنسب وصفه بالأصفر " كالزرع الأخضر إذا بدا يجف يستحيل لونه إلى (الصفرة) "، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْمًا﴾ [١٨، ص ٨٥٩] <sup>(٥)</sup>.

ولم يستسغ تشبيه طاهر زمخشري السمرء بأنها صيغت من لجين وقال: " سمرء تصاغ من لجين، واللجين إما الذهب أو الفضة..إنني لا أستسغ هذا التلوين!"، وعاب عليه قوله يصف فتاة: " جذابة بأسمى المعاني"، وقال: " ينصب عدم الإعجاب هنا على " جذابة..."، فهذا أشبه بوصف قصيدة رائعة لا فتاة جميلة" [٣٥، ص ١٣٩].

كما اهتم الأنصاري باختيار الألفاظ وصحتها وخلوها من الابتذال، ومن ذلك أنه أبدى تحفظه على بيت للزمخشري، ومنه قوله: " وسوف أعطيك مهلة" وقال: " المعنى كله عادي وليس له أجنحة الشعر المحلّق، بل يكاد يصبح عامياً.." [٣٥، ص ١٣٩].

ومن المقاييس التي استند إليها الأنصاري في نقده المعيار القيمي أو الأخلاقي المتمثل في التماسه القيم الأخلاقية في النص ومؤاخذة المبدع على بعض التجاوزات التي يجدها، غير أن هذا الاتجاه لديه لم يفض إلى غمط الشاعر في جانبه الفني بحيث ينشغل بالمضمون عن الصياغة والجماليات الأسلوبية.

ومما يمكن التمثيل به، كتابه عن الشاعر عبدالمحسن الكاظمي حيث حلل شعره وأشاد به وامتدح عفويته وسهولة شعره، ثم توقف عند أبيات له ونقدها مستنداً إلى المعيار الأخلاقي؛ لكونها تنتهك مبادئ الإسلام، وأرجع السبب إلى الرغبة في التجديد بطريقة خاطئة [١٩، ص ١٢٤].

(٥) سورة الزمر، الآية: ٢١.

وأخذ على القاسم بن علي بن هتيمل ظاهرة الانحلال في شعره، مستشهداً ببعض الأمثلة؛ وتحفظ على مقطوعة بعنوان "ياوغدا!" لطاهر زمخشري وأشار إلى أنه من الأولى ألاّ "تنشر في الديوان؛ لما فيها من نابي الألفاظ" [٣٣، ص ٢٤٨]، [٣٥، ص ١٣٩].

وبتأثير من النقد العربي القديم وآلياته نجد الأنصاري مولعاً بإطلاق الأحكام العامة على الشاعر وشعره، أو على قصيدة بعينها، وهي في مجملها غير معللة، ومن ذلك قوله عن عبيد مدني (ت ١٣٩٦هـ): "في شعره طراوة وطلاوة، وهو رصين العبارات منسجم التفكير في شعره"، وهي كلمات ليس لها دلالة محدّدة، ويتوقف عند إحدى قصائده فيقول عنها: "القصيدة رائعة محبوكة الأطراف" [٣٦، ص ١٥٥].

وفي تقديمه لديوان فيض الأحاسيس نظر إلى الشاعر وشعره نظرة شمولية فقال: "شعر السيد مفرّج السيد عربي الديباجة والوزن والقافية..، ومن النوع السهل الواضح الممتع ذي الديباجة المجددة" [٣٩، ص ٩، ١٠]. وفي سياق تقويم شاعرية عبد المحسن الكاظمي وصفه بأنه "شاعر بمعنى الكلمة"، وهي عبارة فيها عمومية وليست ذات دلالة واضحة؛ واسترجع أبياتاً شهيرة صنفت الشعراء فوضعه مع شعراء الصنف الأول "يجري ولا يجري معه" [١٩، ص ٣٦، ٧٠]، فالملاحظ أنه حكم على شاعريته بمقاييس قديمة.

ويطلق على بعض القصائد أوصافاً، كأن يقول: "الأنيقة"، أو "الرائعة" [٣٩، ص ١٠، ١٢]، أو "عصماء" [١٩، ص ٢٧].

هذه أبرز ملامح الخطاب النقدي عند عبد القدوس الأنصاري التي يتضح فيها تأثره بالنقد العربي القديم. أما استفادته من النقد الحديث فتتمثل في جوانب يسيرة لم تتضح في نقده بوصفها منهجاً أو اتجاهًا، وإنما هي استفادة تشكلت بفضل قراءته واطلاعه، منها الاهتمام بالجانب النفسي والاستعانة ببعض المصطلحات النفسية ممتزجة أحياناً ببعض التراكيب التراثية، ومن ذلك أنه ألمح إلى قدرة أحمد الغزاوي على مراعاة مقتضى الحال، مشيراً إلى أهمية الجانب النفسي في هذا المقام حين يقول: "يعرف دائماً كيف يفتح قصائده على حسب مقتضى الحال، وبما يلائم نفسية الممدوح"، وفي تحليله لقصيدة أحمد فتحي في مديح الملك عبد العزيز أشار إلى أن الشاعر كرر لفظة (الندى) في القصيدة، وتفسير ذلك - في نظر الأنصاري - "أن الشاعر قصد هذا التكرار بالذات استجابة لعقله الباطن، وتصويراً لما تعكسه نفسيته على شاعريته حيال التعرض لغيث المليك" [٣٦، ص ٢٠، ٢٦].

وتنفرد دراسته وتحليله لديوان "حنانيك" لعبد العزيز خوجة، وهي من أواخر ما كتب من نقد، بأنها لم تكن امتداداً لنقوده السابقة للدواوين متجهة إلى غاية تكاد تكون محدّدة، وهي الحكم على العمل والنظر في مواطن الجودة والرداءة، بل اتخذت اتجاهًا آخر يسعى إلى التفسير والتأويل، وكأنه يكتب قراءة إبداعية، ولم يكن همه إبراز

المحسن والتنبيه على الأخطاء، وجاءت القراءة متعمقة داخل النصوص، وكأنه يضع نصاً آخر بإزاء النص الأصلي، ففي البداية أشاد بالعنوان وحلله وامتدح أبعاده بوصفه جزءاً من بنية النص، مستنداً في ذلك إلى ثقافته اللغوية العريضة، على حين لم يقف إلا لماماً على العناوين في أعماله السابقة، وواضح أن العناية بالعنونة جاءت بتأثير النقد الحديث.

ثم تناول القصائد واحدة واحدة بالأرقام (١، ٢، ٣، .. الخ)، مقدماً لكل قصيدة بإضاءة تكشف جمالياتها، فها هو يقول عن إحدى القصائد: "قصيدة السأم هذه تعد حلقة جديدة من حلقات القريض الحديث في بلادنا، فهي تعبر بجمالية واتزان عن خلجات الشاعر في حالة اضطراب نفسيته وغلبياتها وقلقها المستمر، إنه أصبح في نطاق حالته تلك يرى كل الأشياء باهتة الألوان يراها فراغاً وخواء وهباء" [٣٢، ص ٥٨١].

وتوقف عند قصيدته "حنانيك" فقال عنها: "حوت القصيدة جوانب مشرقة من الاستعطاف الجذاب في أسلوب خلاب..، وحفلت القصيدة بتنازلات سجلها الشاعر على نفسه في لمحات الرضا والاطمئنان الخاطفة برغم ما كان يعانيه قبيلها من تقلبات أجواء المحبوب من صد وإعراض" [٣٢، ص ٥٨٣].

وثمة مؤاخذات يمكن الإشارة إليها سريعاً في ختام هذا البحث، فمما يؤخذ على الأنصاري التوسع في التشجيع الذي هو من لوازم مدرسته النقدية كما تقدم بحيث يتحول إلى مجاملة، ومن الأمثلة على ذلك إقراره تسمية الشاعر مفرج السيد لقصيدة في خمسة وخمسين بيتاً بأنها "ملحمة" حيث قال: "هي ملحمة صغيرة في حجمها..، ولكنها في استيعابها لأهدافها التاريخية تعد ملحمة كبرى!" [٣٩، ص ١١٣].

وفعل الشيء نفسه تقريباً مع طاهر زحشري عندما قال عن إحدى قصائده: "حلق في هذه الملحمة.. وما يضيره أن لا يقول غيرها، فإنها ملحمة صارخة بالقوة والوطنية.. وقد عدت أبيتها فإذا هي مائة بيت" [٣٥، ص ١٣٨].

وواضح هنا التساهل في إطلاق المصطلح على قصيدتين لا تستحقان اسم ملحمة؛ لأن الملحمة - كما هو معروف - "قصيدة قصصية طويلة موضوعها البطولة" [٤٠، ص ٢١٠]، ولو قال: فيهما نفس ملحمي لكان أقرب إلى الدقة في التعبير.

كما أننا نجد إشارة عند الأنصاري نفسه تؤكد وعيه بفن الملحمة وتسليمه بصعوبتها وقلتها في الشعر العربي حيث يقول: "شعر الملاحم لا يزال قليلاً بالنسبة لشعر غير الملاحم في الشعر العربي؛ وذلك لأن شعر الملاحم يقتضي إحاطة شاملة بالتاريخ وقدرة عالية في الشعر العمودي" [٣٦، ص ١١٣]؛ لذلك لا أجد تفسيراً لقبوله بإطلاق الشاعرين على القصيدتين "ملحمة" إلا المجاملة.



وقد يكشف الأنصاري - رحمه الله - بعض العيوب اللغوية في سياق مهذب، وكأنه يقدم حجة للشاعر يدافع بها عن الخطأ، وإن كانت بالطبع حجة مرجوحة واهية، ومثال ذلك تعقيبه على البيت التالي لمفرّج السيد :

خدكُ النادي وضا في                      شعركُ الداجي وفالكُ

قال معقّباً على البيت : " ولا علينا من صيغة (وفاك)، فنحن نعلم أن هناك من يُلزمون الأسماء الستة الألف في حالات الرفع والنصب والجر ! " [٣٩، ص ٢٠].

وأخيراً أُجمل أهم النقاط التي توصل إليها البحث، وهي نزوع عبدالقدوس الأنصاري إلى خطاب نقدي يبتعد عن المهاترة ويحاول الالتزام بالموضوعية والنقد البناء، واتخاذ مرجعية نقدية تراثية في المقام الأول متأثرة بالنقد العربي القديم ومصطلحاته مع تأثر يسير ببعض الاتجاهات النقدية السائدة في عصره، ووقوفه ضد الأشكال الشعرية الجديدة المتمثلة في الشعر الحر مع تذبذب في موقفه منه.

ويخلص البحث إلى أن عبدالقدوس الأنصاري يجمع في نقده بين النقد الذاتي التأثري والنقد المعياري الموضوعي.

وبعد، فهذه ملامح من آراء الأنصاري في قضايا الأدب وسمات منهجه النقدي في شقيه : النظري والتطبيقي اعتمدت فيها على بعض مقالاته وبعض كتبه في المقام الأول، واستعنت بمراجع متخصصة أرخت للحركة الأدبية والنقدية في المملكة، وأرجو أن أكون وفقت في معالجة هذه الظواهر.

### المراجع

- [١] العوين، محمد بن عبد الله. المقالة في الأدب السعودي الحديث من سنة ١٣٤٣هـ إلى سنة ١٤٠٠هـ. ط ٢، الرياض : دار الصميعة للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- [٢] المحرر(عبد القدوس الأنصاري) "بين النقد الصحيح والتشجيع الزائف"، مجلة المنهل، س ٥، مج ٥ (المحرم ١٣٦٠هـ)، ص ٢١.
- [٣] باحث (عبدالقدوس الأنصاري) "الأمس الضائع" مجلة المنهل، س ٢٢، مج ١٨ (المحرم ١٣٧٧هـ)، ص ٦٣.
- [٤] القحطاني، سلطان بن سعد. النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية: نشأته واتجاهاته. ط ١، الطائف : النادي الأدبي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- [٥] الشهري، ظافر بن مشيب. النقد الانطباعي لدى النقاد السعوديين. الرياض : جامعة الملك سعود - كلية الآداب - قسم اللغة العربية وآدابها، ١٤٢٦هـ (رسالة ماجستير).

- [٦] القشعمي، محمد بن عبد الرزاق. الأسماء المستعارة للكُتّاب السعوديين. ط٢، الرياض : المؤلف، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- [٧] الأنصاري، عبد القدوس " الأدب الحجازي " مجلة المنهل، س١، مج١ (صفر ١٣٥٦هـ)، ص ٥.
- [٨] الخضير، صالح بن عبد الله "بواكير النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية"، مجلة الدارة، س ٢٢، ع ١، (المحرم ١٤١٧هـ)، ١٤٣-١٦٦.
- [٩] الأنصاري، عبد القدوس " أدب النفس وأدب الحس " مجلة المنهل، س١ (ربيع الآخر ١٣٥٦هـ)، ص ١.
- [١٠] الحيدري، عبد الله. آثار حسين سرحان النثرية : جمعاً وتصنيفاً ودراسة. ط١، الرياض : النادي الأدبي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- [١١] تقي الدين، السيد. مجلة المنهل وأثرها في النهضة السعودية من ١٣٥٥-١٣٨٣هـ. القاهرة : عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٨٤م.
- [١٢] المحيش، نبيل بن عبد الرحمن. عبد القدوس الأنصاري : حياته وأدبه. ط١، الدمام : نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- [١٣] الأنصاري، عبد القدوس "النقد جرس"، مجلة المنهل، س١٢ (جمادى الأولى ١٣٧١هـ)، ص ٢١٧.
- [١٤] الشريف، فهد بن محمد. الحركة النقدية في الصحافة السعودية من ١٣٤٣ إلى ١٣٨٣هـ. مكة المكرمة : جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، (رسالة ماجستير).
- [١٥] الأنصاري، عبد القدوس "رحلة في ديوان إشراق الغروب"، مجلة المنهل، س٤٥، مج٤٠ (رجب ١٣٩٩هـ)، ص ٥٢٧.
- [١٦] عوض الله، غازي زين. الصحافة الأدبية في المملكة العربية السعودية. ط١، جدة : مكتبة مصباح، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- [١٧] الأنصاري، عبد القدوس " أدبنا في معترك الآراء " (حوار)، مجلة المنهل، س ٢٢، مج ١٨ (جمادى الأولى ١٣٧٧هـ)، ص ٣٤٣.
- [١٨] المحرر (عبد القدوس الأنصاري) " ألحان منتحرة"، مجلة المنهل، س ٢٩، مج ٢٤ (ذو الحجة ١٣٨٣هـ)، ص ٨٥٨.
- [١٩] الأنصاري، عبد القدوس. أربعة أيام مع شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي. جدة : المؤلف، ١٣٨٨هـ.
- [٢٠] السنوسي، محمد بن علي. القلائد. القاهرة : مطابع دار الكتاب العربي، ١٣٨٠هـ.

- [٢١] الأنصاري، عبد القدوس. رحلة في كتاب من التراث. ط١، الرياض : المكتبة الصغيرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- [٢٢] المحرر(عبد القدوس الأنصاري) "صواريخ ضد الظلم والاستعمار"، مجلة المنهل، س٢٢، مج١٨(المحرم ١٣٧٧هـ)، ص ٥٨.
- [٢٣] جامعة أم القرى. بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين. ط١، مكة المكرمة : جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. انظر بحث حسن بن فهد الهويمل "مدخل إلى دراسة الحركة النقدية في المملكة"، ٦٥/٢.
- [٢٤] الحازمي، منصور إبراهيم. الوهم ومحاور الرؤيا : دراسات في أدبنا الحديث. ط١، الرياض : دار المفردات للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- [٢٥] الحازمي، منصور إبراهيم. سالف الأوان. الرياض : مؤسسة اليمامة الصحفية (كتاب الرياض ٧١)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- [٢٦] الشبيبي، قليل محمد. نقد القصة القصيرة لدى النقاد السعوديين. الرياض : جامعة الملك سعود - كلية الآداب - قسم اللغة العربية وآدابها، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، (رسالة ماجستير).
- [٢٧] الأنصاري، عبد القدوس "لقاء" (حوار: علي الدميني)، مجلة قافلة الزيت (ذو الحجة ١٤٠١هـ)، ص ١٢.
- [٢٨] الخريّف، عبد العزيز بن ناصر. أحمد عبد الغفور عطار ناقدًا. الرياض : كلية اللغة العربية بالرياض، ١٤١٥هـ (بحث).
- [٢٩] ابن خميس، عبد الله بن محمد. من جهاد قلم في النقد. ط١، الرياض : مطابع الفرزدق، ١٤٠٢هـ.
- [٣٠] باحث (عبد القدوس الأنصاري) "البعث"، مجلة المنهل، س١٣، مج٩ (شعبان ١٣٦٨هـ)، ص ٣٦٤-٣٦٧.
- [٣١] باحث (عبد القدوس الأنصاري) "فكرة"، مجلة المنهل، س١٣، مج٩ (المحرم ١٣٦٨هـ)، ص ٥٢-٥٤.
- [٣٢] الأنصاري، عبد القدوس "رحلة في ديوان حنانيك"، مجلة المنهل، س٤٤، مج٣٩ (جمادى الآخرة ورجب ١٣٩٨هـ)، ص ٥٨١.
- [٣٣] الأنصاري، عبد القدوس "دراسة وتحليل لديوان القاسم بن علي بن هتميل"، مجلة المنهل، س٢٧، مج٢٥ (ربيع الآخر ١٣٨١هـ)، ص ٢٣٩-٢٤٩.
- [٣٤] الأنصاري، عبد القدوس "تحليل شاعرية شاعر مجتهد أحمد عبد الجبار"، مجلة المنهل، س٢٢، مج١٨ (ذو القعدة ١٣٧٧هـ)، ص ١٧.

- [٣٥] باحث (عبدالقدوس الأنصاري) "أصداء الراية" مجلة المنهل، س٢٢، مج١٨ (صفر ١٣٧٧هـ)، ص١٣٩.
- [٣٦] الأنصاري، عبد القدوس. الملك عبد العزيز في مرآة الشعر. الرياض : دار الملك عبد العزيز، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- [٣٧] هلال، محمد غنيمي. الأدب المقارن. ط٣، القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧م.
- [٣٨] الأنصاري، عبد القدوس "أزاهير"، مجلة المنهل، س٣٩، مج ٣٤ (ربيع الأول ١٣٩٣هـ)، ص١٩٦.
- [٣٩] السيد، مفرح فيض الأحاسيس. ط٢، الرياض : دار ثقيف للنشر والتأليف، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. (تقديم عبدالقدوس الأنصاري).
- [٤٠] وهبة، مجدي؛ والمهندس، كامل. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. بيروت : مكتبة لبنان، ١٩٧٩م.

**Opinions of Abdul – Qudus Al – Ansary in the Issues of Literature  
and Features of his Critical Approach**

**Abdullah A. Al-Haidary**

*Assistant professor*

*Al-Imam Muhammad ibn Saud University*

*Arabic Language college, Riyadh*

**Abstract.** This search shows the opinions of Abdul – Qudus Al – Ansary (1909 – 1982) in some issues of literature, such as its function, concepts, commitments, and holds a preference between it and science. We shall also define his school of criticism and his efforts in this domain as displayed in his magazine, (Al – Manhal), the interviews in which he discussed some reference books, works of poetry, sets of stories, as well as his view points dispersed in the press.

The search concentrates on the critical position of Abdul – Qudus Al – Ansary, the effects which influenced his critical standing, and his attitude towards new trends in literature, such as the phenomenon of blank verse etc.

It also seeks to explain Ansary's approach in criticism, through giving some examples of his applied criticism of poetry and novel. In the end, the search concludes that his critical mechanisms are derived mainly from ancient heritage along with a slight touch of modern critical trends which prevailed in his age.

